

وصفة صحية

وآمنة من تجارب القداما للتسمين

قالب

أَنُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّفَاعِي

المدخل

عن عائشة رضي الله عنها قالت : [كانت أُمِّي تعالجني للسمنة تريد أن تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى أكلت القثاء بالرطب فسمنت كأحسن سمّة] رواه أبو داود (٣٩٠٣) وابن ماجه (٣٣٢٤) وصححه القرطبي في تفسيره (١ / ٤٢٤) وصححه الإمام الألباني في الصحيحة (١ / ١٢٣)

الشرح والتوضيح:

في قولها: [كانت أُمِّي تعالجني] دلالة على حرص الأم على معالجة ابنتها عموماً وعند زواجها خصوصاً وبذلها للمحاولات العديدة لإصلاح بدن ابنتها حتى يستقيم جماله وقوامه فلا يكون بالسمين ولا بال نحيف المفرطين ، وأن السمنة المعتدلة داخلة في الصحة والجمال

وأن النحافة قد تحتاج للعلاج ولا يلزم من ذلك أن النحافة من سائر الأمراض أو الأدواء ؛ لأن علاج الشيء معناه إصلاحه وتحسينه ، وقد جاء عند النسائي (٦٧٢٥) أنها قالت : (لما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجوني بغير شيء فأطعموني القثاء بالتمر فسمنت عليه كأحسن الشحم) وهذا دليل أن ذلك لم يكن من مرض بها ؛ إذ لو كان نخفها مرض لبادروا لذلك من قبل ، وقد جاء عند أبي نعيم في الطب من وجه آخر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم هو من أمر أبويها بذلك .

وفي قولها : [للسمنة] دليل أنه ليس كل سمنة مذمومة ، وقد قال الدميري كما في عون المعبود (١٠ / ٢٨٢) : كذا من باب الاستصلاح وتنمية الجسد وأما ما نهي عنه فذاك هو الذي يكون بالإكثار من الأطعمة اهـ

وفي قولها : [فما استقام لها ذلك] دلالة أن ما يناسب الشخص قد لا يناسب غيره ؛ لأن أمها بلا شك إنما كانت تعطيها ما ثبت نجاحه عرفاً ؛ إذ لا يمكن أن تجعل من ابنتها محل للتجارب غير المجربة من قبل

وفي قولها : [حتى أكلت القثاء بالرطب] هذه هي الوصفة التي استفادة منها السيدة عائشة رضي الله عنها وكانت مكوناتها من الوصف المركب من شيئين وهما القثاء والرطب ، مركبين معاً بدلالة الباء في قولها : (القثاء بالرطب) ولم تقل : (القثاء والرطب)

أولاً: القشاء:

قال ابن الجوزي في زاد المسير (١ / ٨٨) :

وفي القشاء لغتان كسر القاف وضمها والكسر أجود وبه قرأ الجمهور وقرأ ابن مسعود و أبو رجاء وقتادة وطلحة بن مصرف والأعمش بضم القاف قال الفراء الكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم وبعض بني أسد اهـ

قلت : اختلف العلماء في تحديد القشاء ف قيل : هو الخِيار ورجحه النسفي والسعدي ، وقيل : شيء يشبه الخيار ورجحه حقي الاستانبولي ، وقيل : هو صغار البطيخ ورجحه ابن عثيمين

قال العلامة العيني في عمدة القاري (٣٠ / ٤٠٣) :

بضم القاف ، وقال أبو نصر : القشاء الخيار ، وفي (المنتهى) لأبي المعالي : القشاء الشعور عند من جعله فعلاً من قث ، وعند ابن ولاد : هو بالكسر والضم ممدود ، وقال أبو حنيفة : ذكر بعض الرواة أنه يقال للقشاء : القشعر بلغة أهل الجون من اليمن الواحدة قشعرة ، قال : أحسبه الجون من مراد اهـ

قلت : والكثير من العلماء يذكرون القشاء ويريدون به غير الخيار ومنهم علماؤنا الشافعية وغيرهم

قال العلامة زكريا الأنصاري في أسنى المطالب (٤ / ٢٥٩) :

القشاء بكسر القاف وضمها أو بالمثلثة والمد ، والخيار فليسا منها - أي الفاكهة - بل من الخضراوات كالباذنجان والجزر وظاهر كلامهم أن القشاء غير الخيار وهو الشائع عرفاً لكن فسر الجوهري كلا منهما بالآخر ولا يدخل اليابس من الثمار في الثمار اهـ

وقال الرافعي في الشرح الكبير (٨ / ١٨٦) :

والزيت المعروف - أي زيت الزيتون - مع زيت الفجل جنسان وهو دهن يتخذ من بزر الفجل يسمى زيتاً ؛ لأنه يصلح لبعض ما يصلح له الزيت المعروف ، ومنهم من قال : حكمهما حكم اللحمين والتمر المعروف مع الهندي - أي التمر الهندي - جنسان ، وعن ابن القطان وجه أنهما جنس واحد ، وفي البطيخ المعروف مع الهندي وجهان أيضاً ، وكذا في القثاء مع الخيار والبقول ، كالهندباء والنعنع وغيرهما أجناس اهـ

قلت: ومفاد هذا الكلام أن الخيار جنس غير جنس القثاء وليس هو نفسه كما أن الهندباء والنعناع أجناس مختلفة

وقال الإمام النووي في المجموع (١١ / ٤٨٢) :

وفي معنى القثاء الخيار والبادنجان كما صرح به الروياني اهـ قلت : فجعل الخيار والبادنجان في معنى القثاء دليل أنه ليس هو

وفي المجموع (١٣ / ١١٨) :

ولم يجز الشافعي السلف في البطيخ ولا القثاء ولا الخيار ولا الرمان ولا السفرجل ولا الموز ولا الجوز ولا البيض - أي بيض كان دجاج أو حمام أو غيره - ولا البرتقال ولا اليوسفي ، وكذلك ما سواه مما يتبايعه الناس عدداً ، وما كان في معناه لاختلاف العدد ، واختلافه في الوزن ؛ لأن بعضها قد يزن الكيلو منها عدداً يختلف بعضه عن بعض فلا يضبط بعدد ولا وزن ، وما كان مما لا يضبط من صفة أو بيع عدد فيكون مجهولاً إلا أن يقدر على أن يكال أو يوزن فيضبط بالكيل والوزن اهـ

وفي المجموع (١٨ / ٦٦) :

وإن حلف لا يأكل الفاكهة فأكل الرطب أو العنب أو الرمان أو الأترج أو التوت أو النبق حنث ، لأنها ثمار أشجار فحنث بها ، كالتفاح والسفرجل : وإن أكل البطيخ أو

الموز حنث ، لأنه يتفكه به كما يتفكه بثمار الأشجار ، وإن أكل الخيار أو القثاء لم يحنث
لأنهما من الخضراوات اهـ

قلت : وظاهر كلام الشافعي في الأم (٣ / ١٢٧) أنه يفرق بين الخيار والقثاء ، وله
كلام بعدها بأسطر يشبه أنهما شيء واحد والأول أظهر

وقال الإمام ابن القيم في المصباح (٢ / ١٦٥) :

وكذلك القثاء والقرع والخيار والبطيخ ينمو نمواً بالغاً عند ازدياد الضوء وأما في وسط
الشهر عند حصول الإمتلاء فهناك يعظم النمو حتى يظهر التفاوت للحس في الليلة
الواحدة اهـ

وقال الإمام الذهبي في الطب النبوي (ص / ٤٣) :

خيارٌ: أبرد وأغلظ من القثاء اهـ ، وقال في (ص / ٥٨) : قثاءٌ : باردٌ رطبٌ في الثانية ،
أفضله النضيج ، يسكن الحرارة ، وهو أخف من الخيار اهـ

وفسر الجوهري الخيار بالقثاء ، ووافقه الزبيدي في تاج العروس ، وقال الرازي في مختار
الصحاح : القثاء الخيار ، وقال الفيروز : الخيار شبه القثاء ، وقال ابن سيدة : والخيار
نبات شكل القثاء ، وفسر القثد بالخيار وقال : وهو ضرب من القثاء ، وكذا قال ابن
منظور في لسان العرب

والخلاصة :

تدور أقوال العلماء في تحديد القثاء : بين الخيار ، ونوع يشبه الخيار ، ونوع من أنواع الخيار ، والبطيخ ، والقليل من زاد : الشعرو ، والقشعر

ويسمى الفُقّوس وهو في مصر الخيار وفي الشام يطلقون الفُقّوس على البطيخ ، وهو نوع نباتي ينتمي إلى جنس القثد يتبع الفصيلة القرعية ويسميه أهل العراق خيار طعروزي . والفرق بين الخيار العادي والقثاء الذي يراد به الخيار أن الخيار العادي قشره أخضر وحجمه صغير والقثاء قشره بين الأخضر والأبيض وحجمه طويل ، وهناك نوع محب وكل هذه من الخيار

ولكن البعض يطلق القثاء ولا يريد به أي نوع مما سبق كمن يريد به البطيخ ، والأقرب أن القثاء إما أن يكون هو الخيار الطويل أو البطيخ كما هو ترجيح ابن عثيمين وهو أقرب للصواب لحديث (كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالربط) وفي رواية : (البطيخ بالربط) دل أن القثاء هو البطيخ والله أعلم كما أنه يظهر أن الفصيلة القرعية كالخيار والبطيخ والدباء فيهما نتائج متقاربة في بعض فوائدهما

وقد ذكر القداما أن هناك بطيخ على طعم القثاء كالذهبي في العبر (٢ / ٤١٥)

ثانياً: الرطب

والرطب : هو ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يتتمر ، وهو نوعان : أحدهما لا يتتمر وإذا تأخر أكله يسارع إليه الفساد ، والثاني : يتتمر ويصير عجوة وتمرّاً يابساً ، انظر عون المعبود (١٠ / ٢٨٢)

وفي قولها : [فسمنت كأحسن سمّة] دلالة أن هذه الوصفة المركبة من القثاء والرطب هي أنجح ما أفادتھا ولا يعني أنها أفضل من غيرها ؛ فالبعض يسمن بطلع النخيل مع التمر ، والبعض يسمن بالحلبة ، والبعض يسمن بالعنبر ، وهكذا تختلف منافع المركبات مع القابلية من بدن لآخر

كتبه أخوكم

أبو العباس أنور الرفاعي

١٦ / ٤ / ١٤٤٠ هـ

اليمن السعيد